السلطان محمد الأول

فترة الحكم: ١٤١٣– ١٤٢١

السلطان العثماني الخامس

الألقاب والأسماء الشعرية: جَلَبي (رجل لطيف ومهذب)، وكِيريشْجي (رامي سهام ذو قوة غير عادية في ربط طرفي القوس)

اسم الأب: سلطان بايزيد الأول

اسم الأم: دَوْلَتْ خاتون

محل وتاريخ الميلاد: أدِرْنه، ١٣٨٧

المناصب قبل اعتلاء العرش: محافظ منطقة وسط الأناضول (تُوقاد وسِيوَاس وأنقرة)، بالإضافة إلى آماسْيَا في الشمال.

العمر عند اعتلاء العرش: ٢٦

تاريخ الوفاة: مايو/أيار ١٤٢١

مكان الوفاة وموقع الضريح: توفي بأدِرْنَه، وأُنشئ ضريحه في بورصا

أبناؤه: مراد، ومصطفى، وقاسم، وأحمد، ويوسف، ومحمود.

بناته: سلجوق خاتون، وحفصة خاتون، وعائشة خاتون، وسلطان خاتون، وإلالْدِي خاتون

لوحة بفن المنمنمات تصوّر السلطان محمد جلبي، بريشة الفنان ليفني في أعماله المعروفة باسم "صور متخيلة لشجرة العائلة العظمي".

أدت هزيمة يِلْدِرِيم بايزيد في معركة أنقرة إلى تدمير الوحدة الأناضولية، وإثارة الصراعات فيما بين الأمراء أولياء العهد على العرش. ومنح تيمورلنك، الذي كان يحاصر إزمير، سليمان جلبي شهادة تؤكد سيادته على الروملي. ورغم أنه دعا محمد جلبي، الابن الآخر ليلْدريم بايزيد، كي يحكم كُوتَاهْيَا، فإن محمد جلبي لم يرد عليه.

وبدأ أولياء العهد صراعا شديدا على حكم الأراضي العثمانية. فحارب محمد جلبي ضد إمارتي تُوكَاتْ وأماسيا (آماصْيَا) ونجح في إخضاعهما، وهو ما جعله أقوى عسكريا. وكانت مواجهته الأولى مع أولياء العهد الآخرين ضد عيسى جلبي الذي نجح في الاستيلاء على بورْصا من موسى جَلَبي. أعلن محمد جلبي نفسه حاكما لبورْصا بعد أن أصبح ولي العهد الثالث الذي يستولي عليها، وكان ذلك في معركة أولوبات. وفي خضم هذا التنافس تحالف موسى جلبي مع محمد جلبي لاحقا، فيما ساند عيسى جلبي شقيقه سليمان جلبي. واستطاع محمد جلبي بنجاح صد هجوم جيش عيسى جلبي، الذي كان قد تحالف مع الإمارات الأناضولية، وبذلك أزيل الخطر الذي شكله عيسى جلبي في عام ١٤٠٣. ثم تغير الحكم في بورصا للمرة الرابعة عندما استولى سليمان جلبي، حاكم الروملي، على المدينة ومعها أنقرة من محمد جلبي في عام ١٤٠٤. وفي تلك الأثناء، تراجع محمد جلبي بالقرب من أماسيا وحشد جيشا بقيادة موسى جلبي ليتوجه إلى الروملي ويحارب سليمان جلبي. وأجبر نجاح موسى جلبي في شرق البلقان سليمان جلبي على التخلي عن بورصا، وهو ما أسفر عن قتال بين الأخوين. ثم استولى موسى جلبي على أدِرْنه وأعلن نفسه سلطانا. وبعيد المواجهة بين موسى ومحمد جلبي، ورغم هزيمة محمد جلبي في الجولة الأولى من المعارك، فإنه انتصر في الحرب بالقرب من صوفيا في ٥ يوليو/تموز عام ١٤١٣، وكان ذلك نهاية عهد الفترة الذي دام أحد عشر عاما.

يسجل نشري المؤرخ العثماني أنه في أعقاب حرب أنقرة التي وقعت عام ١٤٠٢ حكم سليمان جلبي لثماني سنوات وعشرة شهور وسبعة عشر يوما، بينما حكم موسى جلبي لسنتين وسبعة أشهر وعشرين يوما، فيما حكم محمد جلبي لسبع سنوات وأحد عشر شهرا. وكان السبب الرئيسي وراء المدة الطويلة لعهد الفترة هو أن دول البلقان، وأغلبها بيزنطية، والإمارات الأناضولية، حثت واستقطبت ودعمت أولياء العهد ضد بعضهم البعض.

مقبرة السلطان محمد جلبي، وتقع في المقبرة الخضراء في بُورْصَا.

"أسكي مسجد" (المسجد القديم)، شيده السلطان محمد جلبي في أَدِرْنَهْ.

بعد اعتلاء السلطان محمد جلبي العرش عَقد أولا تحالفات مع بيزنطة وإمارة ولاشيا وموريا لتأمين الحدود الغربية. ثم شرع محمد جلبي بعد ذلك في استعادة الوحدة السياسية في الأناضول، والتي ظلت ممزقة لوقت طويل. وقد نتجت هذه السياسة عن تخفيف مخاطر الخوض في حروب متزامنة في الشرق والغرب.

كان "تِيمُورْلَنْكْ" قد استولى على إزمير من فرسان الاستبارية بعد معركة أنقرة، ثم منحها للأيدينيين وعاد إلى آسيا الوسطى. وكانت أعظم خدمة أسداها تيمورلنك في الأناضول هي أنه ضم إزمير إلى حظيرة الإسلام في ١٤٠٣.

وكان أول ما فعله السلطان محمد جلبي في الأناضول هو دمج إزمير في الأراضي العثمانية، وكانت تحت حكم "جنيد بك بن أيدين". وعين السلطان جنيد بك محافظا على نيغبولي الحدودية بعد طلبه عفو السلطان.

خلال تلك الفترة أعلنت الإمارات الأناضولية ولاءها للسلطان العثماني. وكذلك واجه العثمانيون الكرمانيين للمرة الأولى؛ حيث كان الكرمانيون قد اغتصبوا الأراضي العثمانية خلال معارك التنافس على العرش ضد موسى جلبي، وهي المعارك التي استولى فيها محمد جلبي على أراضي "بَيْ شهير" و"آقْ شَهير". كما أغار السلطان أيضا على الجندريين وضم إمارتهم للأراضي العثمانية، وعين قاسم بك الجندري محافظا على المنطقة.

وواجه محمد جلبي حادثة أخرى وهي التمرد الذي قاده الشيخ بدر الدين، ابن قاضي سيمافنا غرب نهر مريج. ولم يكن محمد جلبي ليسمح باندلاع "نيران الفتنة" التي أشعلتها المعتقدات الخرافية؛ فتم القبض على الشيخ بدر الدين ومحاكمته وإعدامه وفقا لقرار المحكمة عام ١٤١٦. وبعد ذلك وفي عام ١٤٢٠ قام الصدر الأعظم[١١] بايزيد باشا بالتحريض على تمرد مضاد ضد الكرمانيين وقمع سلسلة من الثورات التي أثارها تمرد بدر الدين في الأناضول.

كان تيمورلنك قد أسر مصطفى جلبي ابن يلدريم بايزيد، وأخذه إلى سمرقند بعد معركة أنقرة. وبُعيد اعتلاء شُهْرُوخ ابن تيمورلنك السلطة بموت أبيه، اعتبر شهروخ أن تعزيز محمد جلبي للوحدة العثمانية في الأناضول تحديا للدولة التيمورية. ولذلك قام بإطلاق سراح مصطفى جلبي

---

[١١] الصدر الأعظم كان كبير وزراء السلطان، وكان يرأس المجلس السلطاني.

قاعة الصلاة في المسجد القديم (إسكي جامع) بأدرنة، ويضم تصميمات رائعة بخط اليد على الجدران والأعمدة.

في محاولة لإشعال الفوضى الدبلوماسية. وردا على تصرفات شهروخ كتب محمد جلبي رسالة له قال فيها إن تجزؤ الدولة العثمانية لن يفيد أحدا غير أعداء الإسلام. غير أن مصطفى جلبي ظهر بشكل مفاجئ في الأناضول ودخل ولاشيا مدعيا أحقيته في العرش. وأصبحت بيزنطة متورطة أيضا في صراع الأمراء على العرش، وهو الصراع الذي يطلق عليه في التاريخ العثماني "حادثة مصطفى المزور". فقد نظم مصطفى جلبي تمردا بالقرب من سلانيك وتساليا، وتلقى دعما من "أيدين أوغلو جنيد بك" محافظ نِيغْبُولِي، وأصبح ظهور مصطفى جلبي سببا كافيا لتشجيع الولايات في الأناضول والروملي على التمرد، وهي الولايات التي كانت تتطلع لتجدد الصراع الداخلي في الدولة العثمانية.

شعر مصطفى جلبي وجنيد بأنهما أكثر قوة من خلال الدعم العسكري الذي قدمه لهما "مِيرْجَه" أمير ولاشيا، لكنهما لم يتمكنا من كسب القوات العثمانية الحدودية إلى صفهما. فعادا إلى إسطنبول. وعندما أرسلت بيزنطة الأمير مصطفى جلبي إلى سلانيك في ذلك الوقت، وكان ذلك عام ١٤١٦، اضطر محمد جلي إلى إعلان الحرب على بيزنطة. وطالب محمد جلبي بأن يتم تسليم المتمردين له، لكن الإمبراطور البيزنطي مانويل، الذي خطط لاستغلال الموقف إلى أقصى حد ممكن، رفض الفكرة. وفي نهاية المطاف وعد الإمبراطور البيزنطي بإبقاء مصطفى جَلَبي في السجن ما دام محمد جلبي حيا. وقد كلف هذا الأمر العثمانيين ٣٠٠ ألف آقْجَة (١٠ آلاف عملة ذهبية) يتم تسليمها لبيزنطة سنويا.

شمعدان نحاسي مطلي، يعود تاريخه إلى أواخر القرن الخامس عشر

ضمن محمد جلبي ولاء إمارات سَارُوهَان وأَيْدِينْ ومَنْتَشَهْ للدولة العثمانية فأقام بذلك وجودا عثمانيا صلبا بطول الساحل الشرقي لبحر إيجة. وفي الحرب البحرية التي وقعت بين العثمانيين والبنادقة عام ١٤١٦، انهزمت البحرية العثمانية بقيادة جَالِي بك بالقرب من كَلِيبُولُو. وكانت هذه الهزيمة دليلا على أن العثمانيين لم يكونوا قد شكلوا قوة بحرية قوية بعد. ونتيجة لتلك الحرب تم التوصل لاتفاقية بوساطة بيزنطية، ونصت الاتفاقية على أن تقوم الدولتان المتحاربتان بتحرير الأسرى بحوزتهما، وأن يسمح العثمانيون للبنادقة بحرية التصدير من العالم العثماني.

قاد محمد جلبي حملة ضد مِيرْجَه أمير ولاشيا الذي تدخل في الصراعات على العرش خلال عهد الفترة، وأجبر ولاشيا على دفع الخراج للدولة العثمانية. كما قام محمد جلبي أيضا بتنظيم حملة ناجحة بالنيابة عن البوسنيين الذين طلبوا الحماية من العثمانيين ضد الطغيان المجري، وكسب ولاء البوسنيين في المقابل.

كان السلطان محمد جلبي قلقا من أن تطلق بيزنطة سراح مصطفى جلبي كي تستفيد من صراع داخلي محتمل في الدلة العثمانية، وكان يخشى بشدة من احتمال أن يعاني العثمانيون من عهد فوضى آخر. وأراد أن يعتلي ابنه الأكبر الأمير مراد العرش دون أية متاعب؛ ولذلك فقد أخفى مرضه، وأمر أن يبقى خبر وفاته سرا حتى عودة الأمير مراد من أماسيا. وبذلك كان محمد جلبي هو السلطان العثماني الأول الذي لم يتم إعلان خبر وفاته على الفور. وفي تلك الأثناء حمل مؤيدو الأمير مراد على عاتقهم مسؤولية نشر شائعة على وجه السرعة تقول إن مصطفى جلبي قد مات، وإن الشخص الموجود في بيزنطة هو "مصطفى المزور"، وإنه ليس أكثر من مجرد ألعوبة في يد البيزنطيين.

أنقذ محمد جلبي الدولة العثمانية من التفكك مرة أخرى، ولهذا فإنه يعتبر المؤسس الثاني للدولة العثمانية. وخلال فترة حكمه كان هدفه الأول هو استعادة الأناضول العثماني والروملي بعد التأثيرات الكارثية لمعركة أنقرة. وقد نجح في تحصين دولته، واستعادتها كقوة مهيمنة في المنطقة، برغم الجهود المعارضة المتراكمة في الأناضول والروملي.

كان محمد جلبي يعرف جيدا كيف يسيطر على غضبه، وكان يتمتع بشخصية هادئة وجادة وحازمة، وهي الصفات التي أعطت الثقة لرجال دولته وجيشه. وكان يمتلك مهارة عالية في استخدام الأسلحة والشجاعة الكافية للقتال في الصفوف الأمامية. ويذكر المؤرخون أنه كان هناك أكثر من أربعين جرحا في جسده لأربع وعشرين معركة كبرى قاتل فيها.

كان محمد جلبي محبا للخير؛ فقد تولى مشروعات بناء واسعة في بورصا، منها المساجد والمدارس والملاجئ وقبره الخاص به. وقد استكمل في عهده أيضا بناء "الجامع القديم" في أدِرْنه و"الجامع الأخضر" في بورصا. وكان يعامل رعاياه بعدل، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

كان محمد جلبي، قوي البنية، عريض الصدر، محبا للمصارعة، شديد القوة. وكانت قسمات وجهه مريحة، كما كان طويل الحاجبين رفيعهما، بُنّي العينين، أحدب الأنف، ذا ذقن متوازنة ويدين قويتين.

وكان يفضل ارتداء قفطان برقبة عالية، كان يصنع من أقمشة لامعة وفرو من الداخل. وكانت العمامة التي يرتديها مصنوعة من قطعة واحدة من القماش من لون واحد. وكان يتماشى مع غطاء الرأس المبطن الذي كان يرتديه والذي كان مطرزا بالذهب.

اتبع محمد جلبي تقليد "موكب الصرة" الذي بدأه والده، فكان يرسل قوافل التبرعات المالية والعينية للحرمين الشريفين.

طفل عثماني ينتظر أمام بوابة المسجد الأخضر، أحد أعظم إسهامات السلطان محمد جلبي في مدينة بورصا. (تصوير عثمان بِرادَرْلَرْ، نحو عام ١٨٩٥).